

إشكالية العلاقة بين الخطاب الأدبي والسياسة

فاطمة محمد أمين العمري، حذيفة عبدالله عزام*

ملخص

يسعى هذا البحث إلى استكناه ملامح العلاقة بين الأدب والسياسة، وبيان ملامحها، وتحديد أوجهها، من خلال محاوره النصوص واستنباط علامات تلك العلاقة من الوقائع التاريخية وما يكتنفها ويحدّد سيرها. فيبدأ الحديث في مفهومَي الأدب والسياسة، ثمّ النشأة، ثمّ يتحدّث في العلاقة بين الأدب والسياسة عند العرب، والأدب والسياسة وإشكالية الحدود بينهما، والسياسة داعم الأدب ورافده، والنص والقيمة والسياسة، ودور الأدب في التغيير، وقهر السياسة ومقاومة الأدب، والسياسة والتصفية الأدبية، والأديب والمشاركة السياسية، والسياسي والمقدس، والأديب وخيانة الانتماء، ثم خاتمة تبين أهم ما توصل إليه البحث من نتائج.

والبحث إذ يعرض للعلاقة بين الأدب والسياسة وما يكتنفها يتكئ على عدد من المصادر والمراجع ذات العلاقة بالموضوع.

الكلمات الدالة: الخطاب الأدبي، السياسة، النص، التأثير، التأثير.

المقدمة

المفاهيم:

الأدب من الجذر اللغوي أدب، وقد جاء في اللسان: الأدب الذي يتأدّب به الأديب من الناس؛ سُمّي أدباً لأنه يأدّب الناس إلى المحامد، وينهاهم عن المقابح. وأصل الأدب الدعاء، ومنه قيل للصنيع يُدعى إليه الناس: مدعاة ومأدبة. ابن بزرج: لقد أدبْتُ أدباً أدباً حسناً، وأنت أديب. وقال أبو زيد: أدب الرجل يأدّب أدباً، فهو أديب، وأرب يأربُ أرابيةً وأرباً، في العقل فهو أريب. غيره: الأدب: أدب النفس والدّرس. والأدب الظرف وحسنُ التناول. وأدب، بالضّم، فهو أديب، من قوم أدباء. وأدّبه فتأدّب: علّمه. (ابن منظور، مادة سوس)

والسياسة من الجذر اللغوي سوس، وقد جاء في اللسان: والسّوس: الرياسة، يقال: ساسوه سوساً، وإذا رأسوه قيل سوسوه وأساسوه وساس الأمر سياسةً قام به، ورجلٌ ساس من قوم ساسة، وسواس؛ أنشد ثعلب:

سادة قادة لكلّ جميع

ساسة للرجال يوم القتال
وسوسه القوم جعلوه يسوسهم، ويقال سوس فلان أمر بني فلان أي كلفَ سياستهم. د الجوهري: سُسْتُ الرعية سياسةً. وسوس الرجل أمور الناس، على ما لم يُسم فاعله، إذا ملّك أمرهم. (ابن منظور، مادة سوس)

وقال الوليد بن عبد الملك لأبيه: "يا أبة ما السياسة؟ قال: هيبة الخاصة مع صدق مودتها، واقتياد قلوب العامة بالإنصاف لها، واحتمال هفوات الضائع". (ابن حمدون،

قضَى مالك الملك يوم خلق الخلق وبسط الرزق بأن الأيام دول، وجعل مفاتيح الملك ومقاليد زواله بين يديه "اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء وتنزع الملك ممّن تشاء" (آل عمران، آية 26). وهذا التاموس لا يتغيّر ولا يتبدّل حتى يرث الله الأرض ومن عليها، وسواء أطل عمر الممالك أم قصر، فإن انتقال الملك أمر محسوم، وزواله أمر محتوم. وإذا كان هذا هو الحال أنى وجهت نظرك وقَلبت بصرك فقد كان الحال كذلك على امتداد الدهر. وكما هي عليه الحال في كلّ زمان فإن صاحب السلطان يعدّ مركز الحياة السياسيّة والاجتماعيّة والنقافيّة والاقتصاديّة، بل إنّه الفلك الذي تدور حوله شؤون الدولة كلّها.

وحالُ الناس مع السّلطة والسلطان وصاحب الأمر يكاد يكون واحداً في كل زمان ومكان، وإن تعدّدت الطرائق وبدت الفوارق، فإنّها لا تنفي الشّبه بين الرّاعي والرّعية بكل أطيافها، إذ تتشابه علاقات الدّهماء بالرّاعي في شتّى العصور، كما تتماثل علاقات الكتّاب والأدباء مع أصحاب الأمر وولاية السّلطة.

إذ يتجاذب أصحاب الأقلام والقرائح الأمور مع السّلطة في إطار من التأييد والمعارضة والممانعة والمهادنة، حتى كأنهم ينضوون تحت ألوية خاصّة من المواقف التي يتخذونها على مر العصور.

562هـ، ص371)

ويبدو مما سبق أن الأدب والسياسة يشتركان معاً في معنى أن يروض المرء الدابة أي يذلها ويسوسها ويؤدبها، وهذا يعني أنه ثمة اشتراك في المعنى اللغوي بين الأمرين.

وأدب السياسة هو: "الفن القولي - شعراً وكتابة وخطابة وحواراً - الذي يتعاطى شؤون الحكم تأييداً أو تفنيدياً، أو يتناول علاقة الأمة بغيرها في حرب أو سلم". (الحوفي، 1974، ص8)

النشأة:

لابد للوقوف على جذور هذه العلاقة الشائكة بين الأدب والسياسة من العودة إلى اليونان الشعب الذي عاش حياته بكل تنوعاتها الاجتماعية والدينية والثقافية والسياسية من خلال ما تقدمه الجوقة على خشبة المسرح، إذ اعتاد الإغريق أن يجتمعوا مرتين - على الأقل - في السنة أو كلما سمح لهم الجو بالبقاء في الهواء الطلق لمشاهدة العروض المسرحية التي تلقوها - لوقت طويل - على أنها الحقيقة، وتمثلات علوية مقدسة للآلهة. إلى أن جاء سقراط ودعا الشباب إلى التفكير والتحري والبحث فحاكمه اليونان على أفكاره وقتلوه، ولكنه ترك خلفه تلميذه أفلاطون متأثراً بمبادئه.

وقد أخذ أفلاطون على عاتقه في جمهوريته أن يهاجم السفسائيين، ويمجد سقراط جاعلاً الحكمة تتطرق على لسانه في معظم مسرحياته، وهاجم الشعر بشدة، ولكنه لم يهاجم الخطابة؛ لأنها تهدف إلى الإقناع مما يجعل لها أثراً قوياً في السياسة، لاعتمادها على المنطق. بينما يعتمد الشعر على الفن وعلى ما يؤمن به الشعراء أنفسهم. (القلماي، 1953، ص61) والشعراء - حسبما يرى أفلاطون - أقل شأنًا من أن يوجهوا شعب أثينا. لقد حنق أفلاطون من إعجاب الجمهور، وتحمسه للمسرح، وما يكتبه الشعراء. فهاجم هذا اللون الأدبي ونفاه من المدينة المثالية التي سعى إليها طالباً لسكانها الحياة المثالية الفاضلة التي تقوم على أساس التفكير السليم ودستور السلوك فيها قائم على ما يصل إليه الفرد من نتائج المعرفة. (القلماي، 1953، ص61)

لقد درس أفلاطون طبيعة الشعر فوجده صورة من صور المحاكاة لأصل قائم فعلاً، وهذا الأصل هو الأولى بعناية الناس واهتمامهم. ذلك أن محاكاة الشعر ناقصة وتقليد مبتور؛ فهو يخدع ويضر لصرفه الناس عن السعي وراء الحقيقة، ولذلك فهو لا يؤدي شيئاً من أبواب المعرفة. ولا يكفي أفلاطون بالهجوم على الشعر بل يهاجم التمثيل أيضاً لأنه يشوش شخصية الممثل ويشتمها. (القلماي، 1953، ص67) إن نقد أفلاطون لتلك الفنون وهجومه عليها كان لهدفه الذي

ذكره في أول الجمهورية وهو المتلخص في أن هدف الأفعال يجب أن يكون في فعل الخير، وهدف المعارف معرفة الحق، وهو ما يصب في أن الفلاسفة هم الذين يهدفون إلى معرفة الحق والخير والعدل؛ لذا فإنهم هم من يجب أن يقودوا الأمم ويحكموها، لأنهم يضحون للصالح العام

متحملين أعباء ثقيلة. ذلك أنهم لا يتنافسون على المنافع فالحكم بالنسبة إليهم تكليف. (القلماي، 1953، ص66)

ثم جاء أرسطو ليقسم المعارف إلى علوم إنتاجية: كالشعر والخطابة، وعلوم عملية: كالسياسة والأخلاق، فاصلاً بذلك بين الأدب والسياسة. لقد أوجد أرسطو لنظرية المحاكاة طريقاً آخر غير الذي أوجده أفلاطون، ففي حين جعل أفلاطون الفنون محاكاة مشوهة ونقلاً مسخاً، جعلها أرسطو محاكاة مختلفة، و ليست نقلاً حرفياً وذلك لانعدام النموذج، فهي فن له أثره الخطير في الشعر.

فالشعر عند أرسطو يمثل الحقيقة العالمية الكونية العامة، والتاريخ يمثل حقيقة خاصة، ولقد استطاع أرسطو بذلك أن يربط الفن بالحياة والطبيعة من حوله. (القلماي، 1953، ص101)

ولقد أعاد أرسطو بأرائه العلاقة المتينة التي تجمع الأدب بالحياة وتقر له بدور حقيقي يسمح له في أن يؤثر ويتأثر بما حوله، ذلك أنه نوه بأهمية الآداب في التربية بقوله: الآداب والرياضة البدنية والموسيقى وأحياناً الرسم. فالأول (ويعني الآداب) والأخير باعتبار منفعتهما المحققة كما هي متنوعة في الحياة كلها". (أرسطوطاليس، 2008، ص289-290)

وبذلك يتضح أن اليونان أوروثة الشعوب الأخرى - من خلال نظريتهم النقدية - علاقة شائكة، ولكنها موجودة حتماً تجمع الفنون بعامة والأدب بخاصة بالحياة وتفاصيلها، ولا نستثني منها شؤون السلطة وأمور السياسة.

الأدب والسياسة عند العرب:

مما لا شك فيه أن العرب تأثروا بعلوم الأمم الأخرى، واثرت عندهم تلك الخصومات النقدية والفكرية التي ثارت عند الشعوب الأخرى سواء أترأست معها أم تلتها أم سبقتها في بعض الأحيان. ولعل هذه العلاقة المثيرة التي جمعت الأدب بالسياسة رافقت مسيرة الأدب العربي منذ البدايات. وإن كانت هذه الرقعة مختلفة متباينة - من حيث الجوهر - عما بدت عليه عند غيرهم من الشعوب التي اختصمت نقدياً، وأثارت زوابع من الأخذ والرد حتى استقر لها الأمر نسبياً. فأقدم نصوص الأدب العربية وهي الشعر وصلت إلينا دون أية محاولات لفلسفتها أو تحليلها أو التدخل في سيرها على نحو يجعل من احتمالية وجود أي نوع من أنواع التوجيه النقدي أو الفكري

المدرّوس غير موجودة كما كان عليه الأمر عند غيرهم من الأمم.

ولكن هذا لا يمنعنا من الإقرار بتأثير الأدب العربي في الحياة السياسيّة على علمنا بأنّ شكل الحياة السياسيّة كان خاصاً في ذلك الوقت. فقد أفرز مجتمع القبيلة شعراء ناطقين باسم الجماعة يصدرّون عن مواقفها ويتبنّون أحلافها، فيمدحون ويهجون بدافع الانتماء القبليّ. وقد جاءت كثير من القصائد العربيّة ردّاً على أحداث الواقع متفاعلة مع ما يدور من أحداث مسجّلة النزاعات القبليّة والأحلاف الاستراتيجية. بل إنّ الحروب والأحلاف كانت في كثير من الأحيان محطّ رحال الأدب ووجهته، ذلك أنّ حروب العرب الأولى بقيت في كتب التاريخ بفضل الشعر الذي جاء صدى واقعاً لها. وتشهد مناسبات القصائد ومساجلات الشعراء على ذلك. وقد بيّن ابن خلدون هذه العلاقة بقوله في باب ترفع أهل المراتب عن انتحال الشعر: "... ثم جاء من بعد ذلك الملك الفحل والدولة العزيزة، وتقرّب إليهم العرب بأشعارهم يمتدحونهم بها. ويجيزهم الخلفاء بأعظم الجوائز على نسبة الجودة في أشعارهم ومكانهم في قومهم، ويحرصون على استهزاء أشعارهم، يطالعون منها على الآثار والأخبار واللغة وشرف اللسان. والعرب يطالبون ولدهم بحفظها. ولم يزل الشأن هذا أيام بني أمية وصدرًا من دولة بني العباس". (ابن خلدون، 2002، ص585)

والحق أن بعض أدباء العرب وشعرائهم تهاوتوا حول وهج أصحاب السلطة، وإن تفاوتت مآربهم واختلفت، إذ سعى بعضهم إلى عطايا الملوك وأصحاب السلطان كالحطّية والأعشى والنابغة الذبياني، ولكن هذا الأمر حادث في حياة العرب الأدبيّة. فقد "كانت العرب لا تتكسّب بالشعر، وإنما يصنع أحدهم ما يصنعه فكاهاة أو مكافأة عن يد لا يستطيع أداء حقّها إلا بالشكر إعظاماً لها". (القبرواني، 1972، ص80) غير أنّ تلك القصائد المتكسّبة بالشعر لم تكن بسبب سلطان القبيلة؛ إذ كان الشاعر الجاهليّ حرّاً ملتزماً - طواعية - ولم يكن محكوماً بسلطة ولا قانون كما نعرف اليوم في الدولة الحديثة. ولعلّ في معلّقة عمرو بن كلثوم التي مطلعها:

ألا هُبِّي بصحنك فاصبحينا

ولا تُبقي خمور الأندرينا

مثلاً واضحاً على هذا الالتزام، فقد فخر فيها بقومه وذكر أمجادهم، وقد حذا كثير من الشعراء حذوه في ذلك. (أبو حاقّة، 1979، ص 62). أمّا القصائد المتكسّبة بالشعر فقد كانت بسبب سلطنتيّ دولتيّ الغساسنة والمناذرة، وهما نظامان سياسيّان ليسا من شكل الأنظمة العربيّة الراسخة آنذاك وهي المتمثلة بنظام القبيلة المعروف، وما يكتنفه من أحلاف.

ولما جاء الإسلام التفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى أهميّة الشعر " لاسيما بعد أن تعرض له جماعة من الشعراء بالهجاء والحطّ من قدر الدين. فأوعز إلى عدد من الشعراء المؤمنين أن يردّوا عليهم فكان حسان بن ثابت وكعب بن زهير وعبد الله بن رواحة ينافحون عن العقيدة الإسلاميّة ويتغنّون بتعاليمها وأهدافها" (أبو حاقّة، 1979، ص 70) والدّفاع عن الدين "الجديد" كان يعني - بالضرورة - الدّفاع عن الدولة الجديدة التي قامت على الدين.

أمّا في العصر الأموي فقد تطوّرت الحياة السياسيّة؛ فظهرت الأحزاب وبدأ التنازع على الخلافة، والتّصارع، ممّا أدى إلى ازدهار الشعر السياسي؛ فكان "أخطل بني تغلب يمثّل الخلافة الأمويّة، والكميت بن زيد الأسدي يمثّل موقف الشّيعّة، وعبد الله بن قيس الرقيّات شاعر الزّبيرية، وقطري بن الفجاء والطّرمّاح بن حكيم وعمران بن حطّان من شعراء الخوارج" (أبو حاقّة، 1979، ص72)

فقد شغلت السياسة بمعناها العامّ الأدباء والشعراء العرب على مرّ العصور، فلم يندفعوا للعمل فيها، أو المشاركة في غمارها مادحين مستعطين وحسب، بل تحدّثوا عنها وعن أدبيّاتها، ونظّروا لها صراحة في أشعارهم، وحذّروا منها ومن مغبّة العمل مع أهلها، والمغامرة بالاشتراك في غمارها. والنّاظر في الشعر العربيّ يقف على سيلٍ عريضٍ من الأبيات التي تتعرّض للسياسة وأهلها.

الأدب والسياسة وإشكالية الحدود:

قد يُنظر إلى الأديب أو الكاتب على أنه نبيّ الجماعة، والنّاطق الإعلاميّ، والخطيب المفعّو، وشاعر القبيلة الذي تنوب ذاته وينصهر كيانه في الكتلة البشريّة العامة، وتظهر مصالحه في الشّعارات القوميّة والدينيّة التي هي أركان الحياة السياسيّة بكل أبعادها المساندة والمناهضة. فكثير من النصوص العظيمة حملت في طياتها الحدث السياسيّ واتكأت عليه، فجاء "يوليوس قيصر" في المسرح، و"خريف البطريق" في الرواية، و "العسكري الأسود" في القصة، و"مرثية العمر الجميل" في الشعر. وغيرها فالأمر ليس حكرًا على شكسبير وماركيز و يوسف إدريس و أحمد عبد المعطي حجازي.

إن استثمار الحدث السياسيّ في سياقات أدبية شعريّة وقصصية وروائيّة وغيرها أمر طبيعيّ وعفوي في الحقيقة فالأدب مرآة الواقع، وتكاد السياسة وما يدور في فلكها تكون محور الحياة وأهم ما فيها لأنها بدورها ترسم دون وجل أو خوف ملامح شؤون الحياة الأخرى. والأدباء والفنانون ما هم في حقيقة الأمر إلا أفراد يمثلون شرائح المجتمع وأطيافه السياسيّة، ويعكسون انتماءاته الفكرية والفلسفية، ونتاجاتهم كلها

مساراتها التي تضل، ويشد من أزرها فيما وقع صائبا من أحداث. وقد يكون الأدب وغيره من مفردات الفكر والإبداع مطية تستقلها السياسة، وتركبها لتعبر عليها إلى حيث تريد. وقد يكون الأدب رفيقا نبيلاً للسياسة، كما يكون رفيقا مشاكساً أو مهادناً. ويكون كياناً مستقلاً قائماً بذاته له عالمه المنفرد الذي لا ينازعه فيه شيء.

ولب القول أن السياسي له مجالاته وأدواته التي يتوسل بها بغية تحقيق مآربه والأدب واحد من أدواته، وطريقة من طرقه لتحقيق مبتغاه. والأدبي كذلك له مجالاته وطرقه والسياسة واحدة من تلك المجالات التي يحتال من أجل خوض غمارها، فهي في كثير من الأحيان هدف أعلى للأدب، كما أنها ضامن أكيد للشعبية والانتشار.

والدولة الحديثة أصبحت أكثر ذكاء فلم تعد تستخدم الشعراء والأدباء على نحو مكشوف كما هو الحال في المديح، وأصبحت تكفي بأن يعمل الأديب في إحدى مؤسساتها، وأهم هذه المؤسسات هي مؤسسة الصحافة والإعلام؛ إذ صار الأدباء كُتّاباً في وسائل الإعلام ينقلون وجهات النظر الحكومية كما تنشاء لها الحكومات.

السياسة داعم الأدب ورافده:

يتوسل كثير من الأدباء والمبدعين بالسياسة وأهلها من أجل جلب الحظ لأعمالهم، ونشرها وترويجها ودفع عجلتها إلى الأمام. ونعني بذلك أن رضى السياسي يُعلي من شأن الأدب ويمنحه تذكرة عبور إلى الجماهير. ومن ذلك أن الروائي المصري الكبير نجيب محفوظ استفاد من الصداقة التي جمعتها بهيكل المحظي الناصري الذي حصل له على إذن مباشرة من جمال عبد الناصر عام تسعة وخمسين وتسعمئة وألف نشر بموجبه روايته الأكثر إثارة للجدل "أولاد حارتنا" التي وضعت اسمه على قائمة الحاصلين على جائزة نوبل للأدب (صباحي، 2003، ص128) في حين لم يحصل غيره على الإذن بنشر أعمالهم فاضطروا لحفظها أو تغيير مضامينها.

ومن الجانب الآخر فإن توسل الأدب بالسياسة قد يأخذ منحى آخر؛ إذ تُعلي السياسة من شأن كثير من النصوص الأدبية التي قد لا تستحق ما تناله من حظوة إذا ما قيسَت بنصوص أخرى لم تتل الحظ الوافر نفسه من دعم السياسي لها. سواء أكانت تلك النصوص للكاتب نفسه أم لكتاب آخرين. ذلك أن النصوص الملتبسة بالسياسة التي تتمتع بعلاقات إيجابية معها بالتحديد تجد طريقها إلى الانتشار السريع؛ حيث يجري الترويج لها إعلامياً بوسائل متعددة. فشاعر السلطان سميره ونديم مجلسه الذي يحق له أن ينشد الشعر على مسامع مولاه في حضرة الكثيرين، وليس ثمة مكان أهم من مجالس

وليدة الاختلاط بمن حولهم، وناتج المعاناة الوجودية التي يتعرضون لها بسبب انتماءاتهم العامة والخاصة. وليس مستهجناً ولا مستغرباً أن تأتي إبداعاتهم وتكون إنتاجاتهم من وحي تجاربهم تلك. وعليه فالمجتمع وهمومه ومشاكله السياسية والاجتماعية والثقافية والبيئية والاقتصادية هي مادة الأدب وموضوعه، ويتجلى ذلك من خلال قول الجواهري: (الجواهري، 1961، ج1، ص63)

فلا تعجبوا أن القوافي حزينة

فكلٌ بلادي في ثياب حداد

وما الشعر إلا صفحة من شقائها

وما أنا إلا صورة لبلادي

إلا أن السياسة ليست غاية الأدب المنشودة، كما أنها ليست بعيدة عنها، وهي ليست موضوعه الرئيسي من حيث هي محوره ومادته الخام التي يشكلها ويعيد صياغتها وفق ما يذهب إليه من اختيارات فنية تتيحها له ملكته الإبداعية. لذا فإن استثمار أي موضوع - من أي حقل معرفي أو حياتي كان - في مجال الأدب ينقل الموضوع من حقله الأول إلى حقل جديد هو الحقل الأدبي. ذلك أن الموضوعات تعبر إلى حدود الأدب عبر صياغتها اللغوية المخالفة أو المغايرة لأي صياغة لغوية اعتيادية. فالشكل اللغوي والقوالب اللفظية المنتظمة في جمل هي وحدها من يحدد فيما إذا كانت الأفكار أدباً أم لا. فكل الموضوعات التي تحمل لغتها طاقة الصفر الإبلاغية في مستواها الإبداعي هي في حقيقتها مضامين معرفية لا تتجاوز الحيز الإعلامي للغة، في حين أن الموضوعات التي تحملها تعبيرات لغوية ذات طاقات تعبيرية فوق درجة الصفر الإبلاغية محققة بعض الدرجات الإبداعية هي في واقعها أدب انتقل بمضمونه من دائرة الإخبار إلى دائرة الإمتاع التي هي من خصائص الأدب وحده.

فالساسة قد تشكل مضمون الأدب كما تشكل العلوم والحياة الاجتماعية، ولا مجال بالطبع للفصل بين الصياغة اللغوية وما تحمله من أفكار، لأن الشكل والمضمون في حقيقتهما جوهر معاً لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر.

وعليه فإن محاولة إيجاد حدود فاصلة بالمعنى القطعي بين الأدبي والسياسي محاولة من شأنها أن تهدر الطاقات وتبديد الجهود. فكل مادة جرى تقديمها على نحو أدبي مادة أدبية أياً كان موضوعها. ولكن هذا لا يعني بأية حال من الأحوال أن الأدب سجل لما يدور من أحداث سياسية، كما أنه ليس مجرد ردة فعل مباشرة لمجريات أمورها، ذلك أنه قد يكون سابقاً لها وموجهاً يحكم سير الأحداث، فيمنع بعضها قبل أن يقع ويحدد مسار أخرى. كما أنه قد يكون تابعاً لها يعلق عليها ويصحح

والسلطة لا تقدم قوانينها على أنها أدوات سيادة، وشروط قبلية مفروضة على الإبداع؛ إذ تقدم أدواتها على أنها أدوات تواصل اعتيادية، فلم يفرض الأمراء على الشعراء أن يمثلوا بين أيديهم مادحين، ولكن شرط التواصل - في حضرة الأمير أو السياسي - لا يتحقق دون ذلك. فلا مكان لقصيدة ذاتية أو تأملات خاصة في الحياة بين يدي السلطان وإن ارتفعت قيمتها الأدبية، والمكان حاضر كله لقصيدة تتغنى بشخص السلطان وأمجاده وإن هبطت قيمتها الأدبية، لأن شرط الحضور مضمون خاضع لما تفرضه السلطة سلفاً على الأعمال. وبهذا فإن السلطة تبتز المتقنين فهي تريد منهم أن يهدوا إليها قصائد المديح ليثبتوا وطنيتهم وانتماءهم إلى الشعب، وفي ذلك يقول معاوية بن أبي سفيان: "إننا لا نحول بين الناس وبين ألسنتهم ما لم يحولوا بيننا وبين السلطان". فكل طرح بعيد عن المعارضة التي تهدد السلطان مقبول. وكل ما عدا ذلك مرفوض.

يأخذ التوجيه السياسي للأدب وجهات متعددة فهو يتدخل في انتماء الأدب وفي وجهته الفنية وشروطه الإبداعية أيضاً.

دور الأدب في التغيير:

ساهم الأدب في تغيير مجرى الأحداث في كثير من الوقائع التي عاشتها البشرية، إذ أسهم دعم الأديب للنظام السياسي السائد أو للحركة السياسية المنطلقة في توطيد أركانها والتمهيد لسيادتها. وساعد في نشر الأديان وتعميم الأفكار. ولعلّ حسن بن ثابت وشعره في صدر الإسلام مثال حيّ على هذه المؤازرة التي يقدمها الأدب للدول والممالك، فقد حثّه رسول الله صلى الله عليه وسلم على قول الشعر بلسان الدعوة الإسلامية بقوله: "أهجم وجبريل معك" (صحيح مسلم: كتاب فضائل الصحابة). ومن ذلك ما قدّمه جبرئيل غارسيا ماركيز من خدمات جليلة للجنرال فيدل كاسترو الذي حكم كوبا أعواماً، أزره فيها أدب ماركيز الذي عمّم شخصية الجنرال وجعلها شخصية قريبة مألوفة محببة إلى نفوس الجماهير بتركيزه على كثير من الجوانب الشخصية التي تقرّب الجنرال من جمهوره من خلال أدب رفيع ممتع ومسلّ.

كما يقوم الأدب بدور معاكس، إذ يقوّض دعائم نظام سائد ويدفع مدّ حركات تسعى إلى الانتشار، ولعلّ مسرحية "زواج فيجارو" التي ألّفها بومارشيه، ومُثّلت أول مرّة في باريس عام 1784، وهي ملهاة فكاهية ذات مغزى سياسي ينعى على نظام فرنسا الذي قامت الثورة للقضاء عليه، وأهم ما فيه من امتيازات النبلاء وقد قال عنها لويس السادس عشر إنها مسرحية بغیضة ومنع عرضها، وقد دقت هذه المسرحية ناقوس النعي للنظام الفرنسي القائم آنذاك، وكان لها دور كبير في التغيير. (سارتر، 2005، ص 85) ومن الأمثلة على ذلك قصيدة "إرادة الحياة"

السلطين لجلب الحظّ الجيد للنصوص الأدبية وغيرها، وقد قال أبو حازم الأعرج لسليمان بن عبد الملك في ذلك: "إنما السلطان سوق؛ فما نفق عنده حمل عليه" (ابن عبد ربه، 2001، ج 1، ص 36). أما النصوص التي تبتعد عن أصحاب السياسة فإنها تلقى نصيباً من التهميش، ناهيك عن محاربة النصوص التي تعارض السلطات، ولا أدلّ على ذلك من قوائم الأعمال الممنوعة لأسباب سياسية، ولنا في أعمال أحمد مطر ومظفر النواب وغيرهم شواهد واضحة على ذلك، دالة على الصراع الذي يحتدم أحياناً بين الدولة والفنون بعامّة والأدب بشكل خاص. (واثونجو، 2003، ص 138)

وكما ترفع السياسة من شأن النصوص الأدبية فإنها ترفع من شأن أصحابها، و تحطّ من شأنهم أيضاً ومن ذلك أن "فينلون" رجل الدين والمؤلف الفرنسي الذي كتب "مغامرات تليماك" التي فيها هجاء لاذع غير مباشر لسياسة لويس الرابع عشر فقد كل حظوة لدى الملك أثر ظهور هذا الكتاب. (سارتر، 2005، ص 124) وغير خفيّ أنّ كثيراً من "الكتّاب والمتقنين على اختلاف اتجاهاتهم ممّن أقدموا على لعب أدوار سياسية في مصر في المدّة ما بين عاميّ 1952 و1955 دفعوا ثمن مجازفتهم في السّجن، سواء أكانوا من الليبراليين مثل إحسان عبد القدوس أم الشيوعيين مثل يوسف إدريس، أم من الإخوان المسلمين مثل نجيب الكيلاني" (جاكسون، 2003، ص 118-119)

النص والقيمة والسياسة:

علاقة الأدب بالسياسة ليست محكومة بمكانة ذلك النص الأدبي في هرم الأدب. فالسلطة السياسية تنتظر إلى الأدب بوصفه فاعلاً في التغيير، ومؤثراً في حشد الطاقات المجتمعية، ولا تكتفي فيما إذا كان ذلك النص أدباً جيداً أو رديئاً أو راقياً أو شعبياً. كما أن السلطة لا تهتم بتلك الفوارق الكامنة بين الأجناس الأدبية فالشعر والرواية والقصة وغيرها، كلّها إنتاجات أدبية تُحدث أثراً، لذا فهي كلّها خاضعة تحت سطوة السلطة السياسية، وتمرّ دائماً تحت مجهر الرقيب لتعبر إلى القراء والمتلقين من خلال جواز السفر الذي لا يُمنح إلا من قبل السلطة.

تصادر السلطة الأدب سلفاً بسطوة المسموح والممنوع، ذلك أن أيّ أدب لا تعترف به السلطة لا يُسمح له بالانتشار والتداول وإن تسرّب رغماً عنها فإن حظّه من الشهرة يظلّ قليلاً حكراً على جماعات بعينها. وما تزال السلطات تطارد كل أدب منعه حتى تضيق عليه الخناق، فيضطر صاحبه إلى إعادة إنتاج مضامينه على نحو خاضع للقوانين التي وضعتها السلطة.

لأبي القاسم الشّابي التي مطلعها: (الشّابي، د.ت، ص77-81)

إذا الشعب يوماً أراد الحياة

فلا بُدَّ أن يستجيب القدر
على أن الأدب فاعل رئيسي في الخراب، يقول أبو سليمان البستي في كتاب (العزلة): إن سبب فساد الحكام هو غياب النقد وما يلقونه من المدح والتملق من الحاشية والأدباء. (العلوي، 1998، ص 21) ذلك أن الأديب بما قُدِّر له من صوت مسموع، ومجال رحب من حيث مساحة التلقي يُسهم في التغيير، أو أن يُلوِّح به على الأقل؛ إذ إن حشد الطاقات المجتمعية ليس مستعصياً على الأدب الذي يطرق الأسماع ليُمْتعَ فإذا به يتسلل إلى الأذهان والأعماق ليُغيّر. ولعل هذا هو ما وجّه إليه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله: "احتوا في وجوه المدّاحين التراب".

قهر السياسة ومقاومة الأدب:

يحاول كثير من الأدباء المشاركة في السياسة عبر وسائل مبطنة وأساليب قد يصح أن توصف بأنها ملتوية بعيداً عن نبل المقاصد أحياناً. ولعل هذه المشاركة التي يلجأ فيها الأديب إلى الترميز والتورية والاستعارة - بمفاهيمها العامة - من أجل المساهمة غير المكشوفة في تعديل وضع قائم أو تصحيح مسار مفروض هي في حقيقتها رغبة خائفة ولجلجة عالقة في الصدر ترفض ما يحدث ولا تقوى على تغييره، فتتوسل بالأساليب الفنية والتقنيات الأدبية من أجل تقديم أفكار لا يبدو تقديمها مكشوفة صريحة أمراً متاحاً، إذ غالباً ما يلجأ الأدباء إلى نقد مراحل سابقة على المرحلة التي يعيشونها مجتهدين في إظهار عيوبها رغبة منهم في توحيد الحكم على مرحلتهم دون الخضوع إلى المساءلة أو المحاسبة التي قد تلقي بهم إلى ما لا يحمد عقباه. وهذا الأدب الذي يشارك في السياسة من خلال أعمال الذاكرة كالأدب الذي ظهر في مصر ناقداً المرحلة الناصرية من أجل الإفادة من أخطائها ومحاولة تفاديها، ولعل روايات نجيب محفوظ تمثل هذا الأدب بشكل أو بآخر. ومنها أيضاً الأدب المصري الذي ناقش ثورة 1919م في مصر كرواية الكرنك لنجيب محفوظ.

وقد يشارك هذا الأدب في السياسة على نحو يقدم فيه نماذج من عوالم أخرى، ولعل في كتاب الفيلسوف الهندي بيدبا الذي ترجمه إلى العربية "ابن المقفّع" (كليّة ودمنة) وهو كتاب سياسي خالص قائم على عالم الحيوان مثلاً حياً على ذلك. وقد تبعه في هذا الفرنسي "لافونتين" بسلسلة الحكايات التي عرفت فيما بعد باسمه.

هذا الأدب شاهد على سطوة السياسي، وقهره للأدب

والأديب من جانبه؛ إذ لا يصرح الأديب بمضمونه خوفاً وطمعاً، كما أنه يكشف لنا عن مقاومة الأدب والأدباء، إذ يسعى الأدب دائماً إلى تقديم مبتغاه، وإن اضطر إلى استخدام وسائل أخرى يتحایل فيها على الرقيب السياسي الذي يقف له بالمرصاد. بل إن الأزمة تمتد لتصل إلى حد أن الأدب أو النصوص بأنواعها تمارس فيما بعد هي نفسها سلطة على ذاتها بحيث تقوم فيها بتمثل موقف السلطة أو السياسة فتتبرع من تلقاء نفسها بقمع نفسها، وفي ذلك يرى ميشيل فوكو أن خطورة الوسائل القمعية التي تمارسها السلطة بواسطة الخطاب ليست راجعة إلى وسائل التحكم الخارجية التي عرفت الكلمة المكتوبة عبر تاريخها منذ عصور الظلام وحتى العصور الحديثة، ولكنها عملية التنظيمات الداخلية للخطاب نفسه، التي "تقضي في ظل ضروب من الإقصاء والاستبعاد بإقامة مساحات من الصمت والإضمار ومساحات من الإفصاح والإعلان تحكم ما يجب أن يُقال وما لا يجب أن يُقال وما يخضع للتثديد والكشف والابتكار وما يتبع نظم التعقيب والتبرير والتكرار، وذلك وفقاً لمعايير ضمنية من الخطأ والصواب والحقيقة والزيف لعل أبرزها ما يتجلى في التحريمات التي تنصب على موضوعات السلطة والجنس". (علي، 1992، ص 37-38)

وقد تقهر السياسة الأدب بسطوة التأويل؛ إذ يُعاد تأويل كثير من الأعمال الأدبية الصرفة - البعيدة عن السياسة في شكلها ومضمونها - لتصب في حقل السياسي، وكأن السياسة غاية كل مبدع ومأرب كل أديب، وقدر الأدب الحتمي. ومن ذلك محاولة قراءة عدد كبير من قصائد محمود درويش "الغرامية" في إطار سياسي يُحرّم فيها الجمهور تلك العلاقة بين شاعر فلسطيني وجندية إسرائيلية من خلال محاكمة نصوص درويش الإبداعية محاكمة سياسية صرفة في ضوء القضية الفلسطينية الإسرائيلية وأياً كان الرأي حول ضرورة إدخال العام بالخاص ومسائل الالتزام الأدبي فإن هذا يُعدّ قهراً سياسياً يستلّب الأدب.

كما أن السياسي يقهر الأدبي بفرض أدب المناسبات الذي يدور حول النظام السياسي ورأسه، فيبدو الأدب بذلك في كثير من الأحيان كمن يدور حول الرحى.

والحق أن السياسي صادر الأدب من خلال شواهد متعددة، ولعل في العصور الأدبية المعروفة بعصور الانحطاط مثلاً واضحاً على ذلك؛ إذ جعل السياسي الفارغ ثقافياً من الأدب مطية ساذجة فصار بذلك متوناً جوفاء يشدها الشكل إلى الساحة الأدبية، وينأى بها المضمون، وتبعدها الأساليب والتقنيات عن دائرتها.

وقد يقهر السياسيّ الأدبيّ من خلال تخليد نصوص أدبية وإنزالها منازل لا تستحقها في الحقيقة إذا نُظر إليها من حيث هي أدبية، ولكن نوع مشاركتها السياسية فرضتها بقوة، وفرضت لها الصدارة في ميدان الأدب أيضاً.

فكثير من القصائد الوطنية والحماسية التي قيلت في الحروب والمعارك النضالية وحركات التحرر الشعبية لا تمثل في حقيقة الأمر أدباً رفيعاً، ولكنها تلقى دعماً من أصحاب السياسة يؤهلها لاحتلال الصفّ الأول دائماً.

فمما لا شك فيه أن قصائد كثيرة لإبراهيم طوقان وعبد الرحيم عمر ومحمود درويش وحيدر محمود في حقيقتها لا تستحق البقاء في كتاب النصوص الأدبية الرفيعة، ولكنها ظهرت وبقيت بفضل علاقتها بالطموحات السياسية الشعبية، أو من خلال علاقتها بالأنظمة الحاكمة.

السياسة والتصفية الأدبية:

ظلت علاقة الأدب والثقافة بعامة بدوائر السياسة والجنس والدين تدور في فلك الممنوع الذي - إن طُرِقَ - فإنه يستدعي طقوساً خاصة تراقب حدوداً تكثر فيها الخطوط الحمراء.

فقد نظرت كثيرٌ من السلطات السياسية إلى الأدباء على أنهم فئة خاصة تثير الريبة يجب معاملتها بحذر، فالأدباء وللصوص والفقراء وذوو العاهات والعاطلون عن العمل والمجانين والشاذون جنسياً والعاشرات والمعارضون السياسيون شكّلوا معاً عبر التاريخ الفئات التي تستعديها السلطة السياسية أو تسترضيها حسبما تفرضه حسابات المرحلة.

يمارس السياسيون أفعال التصفية إذا ما جوبهوا بشدة، فتلجأ بعض الدول إلى تصفية بعض المعارضين السياسيين والخارجين عن القانون وبعض هؤلاء هم الأدباء، والحق أن التصفية لا تكون بالقتل فقط؛ فالسجن والتهميش والنفي كلها أفعال تصفية، وهذا ما يفعله أهل السياسة مع الأدب والأدباء؛ إذ توأد الأعمال الأدبية قبل ميلادها وتُغتال وتُحبس وتُفنى بمنع نشرها داخل حدود معينة فلا يُسمح لها بالعبور (جغرافياً)، ونعني بذلك منع أعمال الأدباء المعارضين لسياسة دولة من النشر والتداول فيها.

كما أن السياسيّ يُصَفّي الأدبيّ باستلابه، وتوجيهه وهذه تصفية بشكل أو بآخر ومن ذلك دعوة المهدي لبشار بن برد بالتزام الشكل القديم للغزل العربي، ودعوة الرشيد لأبي نواس بالرجوع إلى أصول المقدمة الطللية. وحبس سعد بن أبي وقاص لأبي محجن النقي لأنه قال شعراً خمرياً، وهذه النماذج كلها قسر للأديب لينتهج منهجاً خاصاً في القول، يقترب فيه من حدود وبنأى فيه عن أخرى.

إن علاقة النص بالسلطة كانت وما زالت في أغلب

الأحيان دموية؛ إذ إن النص يهدف إلى ذاته (أي الأدبية) بينما تهدف السلطة إلى جعله قطعة منها فهي تدعو إلى التعبير بصدق وأمانة عن إرادة الأفراد في حين أنها ذاتها لا تعرف الصدق إطلاقاً، إنها تريد أن تجعل من الأدب مرآة حتى تمرر عبره مجموعة من الوقائع الزائفة على أساس أنها حقيقة مثلما تقوم بذلك وسائل الإعلام (التلفزة، الصحف، المجلات...) وأجهزة التربية (المدرسة، الجامعة، الكتب المدرسية...) وغير ذلك من الوسائل العديدة. لكن الأدب يتأسس مثل مفاجأة. فمن طبيعة السلطة دائماً الدعوة للخضوع المُقنّن، بينما يتأسس النص مثل حرية تكتسب ضد القيود المؤسسية فاللغة تُعَبّر وشكل النص يفضح. (أوكان، 1994، ص 119-120) والأدب يظل تحت سطوة السلطة في مراحل إنتاجه كلها؛ إذ يُجابه الأدب صراعاً في نفس الأديب يُسفر عن إنتاج الأدب، وهذا الصراع محكوم بصراع ثانٍ يُقيّمه الأديب مع متلقيه سلفاً، بالإضافة إلى صراع ثالث يتقمّص فيه الأديب سطوة السياسيّ الرقيب، حتى إذا ما خرج الأدب إلى المجتمع قبل في مرحلته هذه بصراعين آخرين حقيقيين هما: صراعه مع سطوة المتلقي الخارجي (الحقيقي)، وصراعه مع السلطة (الحقيقية). وكل هذه الصراعات في حقيقتها صراعات سياسية تمارسها السلطة السياسية على الأديب داخلياً وخارجياً؛ لأن الإنتاج الأدبي محكوم بالسياسة؛ إذ يرغب الأدباء عن هدر طاقاتهم في إنتاج أعمالٍ قد لا ترضي السياسيّ الذي تُحجم الجماهير لإحجامه! ويعدّ بعض الباحثين هذا التسلط من قبل السلطة فاشية من نوع خاص لا تتمثل في منع القول ولكنها تعني الإرغام على القول. (أوكان، 1994، ص 96) وشواهد هذه الفاشية كثيرة فقد وجه السياسيّ الأديب كثيراً عبر التاريخ.

الأديب والمشاركة السياسية:

أخذت علاقة الأدب والفكر والثقافة بالسياسة تسميات كثيرة، فهي الدهائيات، وعلم الأخلاق السياسيّ، والفلسفة السياسية، وآداب الملوك، ومرايا الأمراء، ونصائح الملوك، والآداب السلطانية. (العلام، 1993، ص 19) ذلك أن جذور هذه العلاقة ممتدة ضاربة في أعماق التاريخ، اقترب فيها الأدب والأديب ورجل الفكر من السلطة التي جذبتة حيناً، وطردته أحياناً أخرى. والسلطة السياسية التي جذبت الأديب وسمحت له بالمشاركة في مؤسساتها، أو أرغمته على تلك المشاركة، أدخلت الأديب إلى عالمها الرحب الضيق من بوابات متعددة، حكمت فيها عليه بالمشاركة الفاعلة المرضية لها هي وليس لأحد آخر غيرها.

فقد يكون رجل السياسة أديباً، وقد تلحق بعض المهام السياسية بالأديب، وقد يكون السياسيّ صاحب ميولٍ أدبي أو

العكس. فقد عرف التاريخ الأدبي والسياسي نماذج متعددة من هؤلاء الأدباء ورجال السياسة.

الأديب السياسي: وهو المبدع الذي سبقته موهبته ليُعرف بها دون غيرها، ثم شاعت الأقدار - أو ولي الأمر - أن يشارك ذلك الأديب في الحياة السياسية مشاركة أحد رجال السياسة ليأخذ مكانه بينهم فيصبح بذلك واحداً منهم، ولعل لسان الدين بن الخطيب (ذا الوزارتين) أحد أبرز هؤلاء؛ إذ كان وزيراً له ثلاث وزارات مع ثلاثة سلاطين. ومن هؤلاء محمود درويش الذي شغل منصباً في السلطة الوطنية الفلسطينية.

والمتنبي واحد من هؤلاء وإن لم ينضم إليهم رسمياً، ذلك أنه قضى حياته متقلداً بين بلاط الأمراء ووزارة الأمر يخطب ودَّ رئاسة لم يحظ بها، وطريدته تلك حكمت عليه أن يكون أديباً سياسياً وإن لم يقلد منصباً حقيقياً؛ فقد كان أبو الطيب يصدر في شعره عن مواقف سياسية وفكر ملتزم بقضايا الأمة العربية في العصر العباسي التي أخلص لها والترم بها في شعره وحياته كلها، وشواهد ذلك كثيرة في شعره منها قوله: (اليازجي، 1964، ص 37)

ولا تحسبن المجد زقاً وقينة

فما المجد إلا السيف والفنكة البكر

وتضرب أعناق الملوك وأن ترى

لك الهبوات السود والعسكر المجر

وتركك في الدنيا دويلاً كأنما

تداول سمع المرء أنمله العشر

ومن هؤلاء أدونيس الذي فرّ طوال حياته من السياسة معلناً اعتزالها، مختاراً لنفسه موقف الحياد والبعد عنها، والحق أن الحياد مشاركة من حيث هو إجماع، وموقف من حيث هو لا موقف؛ فالسبب الرئيسي الذي يدفع أحدهم لاتخاذ موقف الحياد هو موقفه الرافض للموقفين المؤيد والمعارض وهذا في حقيقته موقف لا يخفى على أحد.

السياسي الأديب: وهو رجل السياسة الذي سطع نجمه في إدارة شؤون العامة، ثم بدا أن لديه موهبة أدبية أو ميولاً نحو الإبداع الأدبي، فأنجذ أدباً ذاع صيته كشعر المعتمد بن عباد الأمير الشاعر، أو شعر خالد الفيصل الأمير. أو أن يكون من أولئك السياسيين الذين حاموا حول حدود الأدب ولم يقعوا فيها، فكانت لهم مساهماتهم الأدبية على نحو من الأنحاء كعبد الملك بن مروان الذي لم يكن شاعراً ولكنه شارك في إنتاج الشعر بتوجيه الشعراء من حوله ومواقفه في نقد الشعر الذي كان يعرض بين يديه معروفة مشهورة كقوله لجبرير عندما هجا الأخطل ومن معه بقوله:

هذا ابن عمي في دمشق خليفة

لو شئت ساقكم إليّ قطينا

أما لو قال لو شاء ساقكم إليّ لسقتم إليّ. (ابن قتيبة،

1982، ج 1، ص 461)

ومن هؤلاء الحاج بن يوسف الثقفي الذي كان من أفصح العرب، فهو وإن لم يكن شاعراً إلا أنه كان خطيباً مفوهاً ظلت خطبه في كتاب النصوص الأدبية الرفيعة إلى جانب كونها نصوصاً سياسية ذات قيمة عالية. (الجاحظ، د.ت، ج 1، ص 137-140)

ومنهم الرئيس جمال عبد الناصر الذي حاول أن يكتب رواية لكنها لم تكتمل، تلك الرواية هي رواية (في سبيل الحرية). (بدوي، 2003، ص 34)

ولعل من هؤلاء الضابط الكاتب والضابط الفنان أمثال يوسف السباعي، وثروت عكاشة، ومصطفى بهجت بدوي، وأحمد حمروش، وأحمد مظهر، وصالح ذو الفقار. ومن هؤلاء أيضاً الأديب الألماني "غونتر غراس" الحائز على جائزة نوبل عام 1999م، فقد كان من أوائل الذين كتبوا عن ذكريات الحرب العالمية الثانية بروايته (الطبل والصفحة الصادرة عام 1959م)، كما أنه شارك في الحملة الانتخابية للحزب الاشتراكي الديمقراطي، وهو معروف بتاريخه العسكري.

السياسي والمقدس:

يسعى السياسيون إلى الارتباط بالمقدس وفرض حرز من التابو الاجتماعي الجماعي حولهم، ذلك أن السلطة تسعى إلى المنفعة دائماً، لذا فإنها تلجأ إلى سياسات الإقصاء والإدناء التي تتمثل في تقريب أديب وإبعاد آخر حسب مجموعة من الأولويات التي ترتبها السلطة مع أحلافها فعدو السلطة اليوم قد يكون صديقها غداً هي نفسها أو سلطة أخرى. فحظوة هيكل عند البيت الناصري قابلتها جفوة له عند البيت الساداتي وتقريب لأنيس منصور.

فالعلاقة بين الأديب أو المنقف والسياسة أو السلطة تظل بين مدّ وجزرٍ تتأرجح بالأديب بين الرضى والغضب وفقاً لتمثله للمقدس في علاقته بالسلطة وبالتالي للمحرّم أيضاً.

وعليه فالمؤسسة السياسية هي من يحدد في كثير من الأحيان إن لم نقل كلها رتبة من حولها ولاسيما الأدباء؛ إذ ترسم لهم صوراً نضالية واجتماعية تتضمن حكماً بالقيمة على أعمالهم مغمماً سلفاً على جمهور النقاد والمتلقين. وهذا جزء من سعي السلطة الدائم إلى فرض سطوتها على الكلمة بعامه وعلى الأدب بوجه خاص.

الأديب وخيانة الانتماء:

للسياسة حساباتها المختلفة التي قد لا تخضع لمنظومة القيم المتعارف عليها من جانب، كما أنها قد تخالف كل متوقع

إلى إنتاجية كالشعر و الخطابة، وعملية كالسياسة والأخلاق.

- بدأ تأثير الأدب في الحياة السياسية والعكس في حياة العرب منذ وقت مبكر، وإن لم تأخذ شكلاً نقدياً كما كان عليه الأمر عند الأمم السابقة.

- يُظهر الشعر العربي على امتداد العصور وجهات نظر خاصة تجاه السياسة وأفانيتها.

- المجتمع وهمومه ومشاكله السياسية والاجتماعية والثقافية والبيئية والاقتصادية هي مادة الأدب وموضوعه، ولكنها ليست غايته المنشودة كما أنها ليست بعيدة عنها، وهي ليست موضوعه الرئيسي من حيث هي محوره ومادته الخام التي يشكّلها ويعيد صياغتها وفق ما يذهب إليه من اختيارات فنية تتيحها له ملكته الإبداعية. لذا فإن استثمار أي موضوع - من أي حقل معرفي أو حياتي كان - في مجال الأدب ينقل الموضوع من حقله الأول إلى حقل جديد هو الحقل الأدبي.

- قد يقدم الأدب السياسة، ولكنه ليس سجلاً لما يدور فيها من أحداث فقد يكون سابقاً لها أو موجهاً أو مؤازراً أو معارضاً. كما أن السياسة تستخدم الأدب وتسخره في خدمة أغراضها وأهدافها، وتسعى إلى ذلك.

- تؤثر علاقة الأديب بالسياسي في انتشار أعماله وتعميمها أو العكس.

- لا تُعدّ قيمة النص مرجعية للسياسي في تقريره منها أو إبعاده عنها، ذلك أن مقدار خدمة النصوص للأهداف السياسية هي وحدها من تقرر مقدار حظوة النصوص.

- يؤدي الأدب دوراً رئيسياً في التغيير من حيث دعم الأنظمة أو معارضتها.

- يتوسل الأديب بأساليب عديدة من أجل أن ترى أعمالهم النور؛ لأن السياسي يغلق البوابة في وجه النصوص التي لا تسير وفق رغباته وتوجهاته.

- تقهر السياسة الأدب بسطوة التأويل؛ إذ يجري تأويل كثير من الأعمال في سياقات سياسية هي بعيدة عنها في الأصل.

- يتعرض الأدب للتصفية على يد السياسي؛ إذ تتعرض النصوص للاستلاب والتوجيه؛ فالإنتاج الأدبي محكوم بالسياسة.

- قد يكون رجل السياسة أديباً، وقد يكون الأديب سياسياً مشاركاً في السياسة كأحد رجالها، أو مشاركاً فيها منقرباً إلى أصحابها، أو مشاركاً معتزلاً يطلب الحياد وهي في حقيقتها مشاركة فاعلة.

- تظل العلاقة بين الأديب أو المثقف و السياسي بين مدّ وجزر وفقاً لتمنُّل الأديب للمقدس في علاقته مع السلطة.

من جانب آخر، وإذا كان مكيافلي يرى أن على الإنسان أن يكون أميراً ليفهم طبائع العامة كما أن عليه أن يكون أحد العامة ليفهم طبائع الأمراء (مكيافلي، 1985، ص52)، فإن على المرء أن يكون متلقياً من نوع خاص ليفهم طبائع الأديباء الذين يتعلقون بأهل السياسة دونما وجل وعلى نحو سافر قد لا يكون مكشوفاً في حينه؛ إذ إن دهاء الأديباء وحسهم الخطابي العالي - في كثير من الأحيان - يحول دون وقوع رسائلهم الخطابية موقعها الصحيح من أذن المتلقي غير المقصود.

فقد عاشت كثير من الشعوب تغذي وطنياتها وتمجد تاريخها من خلال نصوص أدبية بدت لسنين عديدة وكأنها نصوص نضالية مقاومة، وهي في حقيقتها نصوص خائنة بكل ما تحمله كلمة الخيانة من معنى، فنموذج "كوهين" حاضر في عالم الأدب أيضاً.

إذ اشترك الشعراء مع الدول والأنظمة في عنفها ضد العامة التي تعدّه ناطقاً إعلامياً باسمها ! وكثير من الشعراء والأديباء الذين اشتهروا لولائهم وعلا شأنهم لوطنيتهم كشفت الوثائق التاريخية عن خيانات عظمى لهم، بل إن بعضهم أظهر ميولاً مكشوفاً للعدو، ولكن القراءة السطحية لأعماله في وقتها لم تكشف خيانتها، ولعل في معروف الرصافي الذي هجا ثوار العشرين ودافع عن عملاء بريطانيا، ومدح المبعوثين الصهاينة مثلاً على ذلك (العلوي، 1998، ص75). وفي بدوي الجبل الذي ثبت تعاونه مع الفرنسيين مثلاً آخر. (العلوي، 1998، ص75).

والشاعر الهندي طاغور الذي ذاع صيته وعلا شأنه على أنه رمز النضال التحرري والوطنية حاصل على لقب "سير" من المستعمرين الإنجليز، ولعل الإنجليز لا يوزعون أوسمته وألقابهم عبثاً، وقد قال عنه جورج لوكاتش: "كلما عظم شأن طاغور وذاع صيته ازداد هجاءه للنضال التحرري في وطنه تأثيراً وفاعلية" (العلوي، 1998، ص76).

نتيجة:

وبعد، فتلك محاولة لولوج عتبات تلك العلاقة الجدلية الشائكة التي يعيشها الأدب في كنف السياسة، وتعيشها السياسة في محاولاتها التي لا تكاد تنتهي للسيطرة على الأدب ضمن ما تحاول السيطرة عليه دائماً من أمور الحياة. وقد خلّصت هذه الدراسة إلى النتائج الآتية:

- هاجم أفلاطون الشعر و حاربه؛ لأثره السلبي في المجتمع، ولأن الشعراء - كما يرى - أقل شأناً من أن يوجهوا شعب أثينا. في حين أنه أعلى من شأن الخطابة التي تهدف إلى الإقناع وهو ما يجعل لها أثراً فاعلاً في السياسة.

- فصل أرسطو بين الأدب والسياسة، بعد أن قسم العلوم

- قد تتعرض الشعوب للتضليل الفني والأدبي فلا تكتشف خيانة الأديب وعاملته في حينها.

- يتواطأ كثير من الأدباء مع السلطة في عنفها ضد العامة، كما أنهم قد يشتركون مع العدو في حربه على الوطنية والمثّل الشعبيّة.

المصادر والمراجع

نهضة مصر، القاهرة، ط4 .
سارتر، ج. (2005). ما الأدب؟، ترجمة وتقديم وتعليق د. محمد غنيمي هلال، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
الشّابي، أ. (د.ت). ديوان أبي القاسم الشّابي إرادة الحياة، شرحه وضبط نصوصه وقدم له: عمر فاروق الطباع، دار الأرقم، بيروت.
صباحي، ك. (2003). العلاقة بين الكتاب والسلطة، مجلة فصول، ع61، شتاء .
العلام، ع. (1993). السلطة والسياسة في الأدب السلطاني، أفريقيا الشرق، المغرب، 1993.
العلوي، ه. (1998). المرئي واللامرئي في الأدب والسياسة، دار الكنوز الأدبية .
علي، م. (1992). الخطاب والسلطة عند ميشيل فوكو، مجلة فصول، مج11، ع1 .
القلمايوي، س. (1953). فن الأدب، مصطفى البابي الحلبي، القاهرة.
القيرواني، أ. (1972). العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، دار الجيل، بيروت .
مكيافلي، ن. (1985). الأمير، تعليق: بنيتو موسوليني، مقدمة: كريستيان غاوس، تعريب: خيري حماد، تعقيب: فاروق سعد، دار الآفاق الجديدة، بيروت.
واثيونجو، ن. (2003). لعبة السلطة سياسة الفضاء المسرحي، ترجمة محمد السعيد القن، مجلة فصول، ع61، شتاء .
اليازجي، ن. (1964). العرف الطيب في شرح ديوان أبي الطيب، دار صادر و دار بيروت، بيروت.

ابن حمدون، بهاء الدين أبو المعالي محمد بن الحسن بن علي (495هـ-562هـ)، التذكرة الحمدونية، دار صادر، بيروت، 1996.
ابن خلدون، المقدمة. (2002). تحقيق: درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت.
ابن عبد ربه، (2001). العقد الفريد، تحقيق: محمد التونجي، دار صادر، بيروت.
ابن قتيبة، د. (1982). الشعر والشعراء، تحقيق وشرح: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة.
ابن منظور، لسان العرب.
أبو حاقّة، أ. (1979). الالتزام في الشعر العربي، دار العلم للملايين، بيروت.
أرسطوطاليس. (2008). السياسة، ترجمه من الإغريقية إلى الفرنسية بارتملي سانتيلير، وترجمه من الفرنسية إلى العربية أحمد لطفي السيد، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
أوكان، ع. (1994). مدخل لدراسة النص والسلطة، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط2.
بدوي، م. (2003). لعب الكتابة لعب السياسة، ميريت للنشر والتوزيع، ط1.
الجاحظ، ع. (د.ت). البيان والتبيين، تحقيق: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت.
الجواهري، م. (1961). الديوان، مطبعة الرابطة، بغداد.
الحوفي، أ. (1974). أدب السياسة في العصر الأموي، دار

The Relationship between Literary Discourse and Politics

*Fatmeh M. Al-Omari, Hudifah A. Azzam**

ABSTRACT

This research seeks to find the features of the relationship between literature and politics, and the statement of its features, and identify aspects, through looking deeply in the texts and the development of signs that the relationship of historical facts and shrouded identifies unfolds.

Begins talking in concepts of literature and politics, then growing up, then speaks in the relationship between literature and politics at the Arabs, literature, politics and the problem of the border between them, and policy supportive literature and its tributary, text, value and policy, and the role of literature in the change, and conquer politics and resistance literature, politics and literary liquidation, and writer political participation, and political and sacred, and writer and a betrayal of belonging, then epilogue shows the most important findings of the research results.

And research as it displays the relationship between literature and politics and shrouded leaning on a number of sources and references relevant to the topic.

Keywords: Literature Discourse, Politics, Text, Vulnerability, Impact.

* Language Centre, Teaching Arabic for Non-Native Speakers, University of Jordan· Jordan. Received on 20/01/2016 and Accepted for Publication on 17/03/2016.